حديث رايات خراسان إلى القدس

<"xml encoding="UTF-8?>

رواه عدد من علماء السنة كالترمذي : 3 / 362 وأحمد في مسنده ، وابن كثير في نهايته ، والبيهقي في دلائله ، وغيرهم . وصححه ابن الصديق المغربي في رسالته في الرد على ابن خلدون . ونصه : (تخرج من خراسان رايات سود فلا يردها شئ حتى تنصب بإيلياء) .

وروت شبيهاً به مصادرنا كالملاحم والفتن لابن طاووس ص 43 و58 ويحتمل أن يكون جزء من الحديث المتقدم . ومعناه واضح ، فهو يتحدث عن حركة عسكرية وجيش يزحف من إيران نحو القدس التي تسمى إيلياء وبيت إيل .

قال في مجمع البحرين : (إيل بالكسر فالسكون ، اسم من أسمائه تعالى ، عبراني أو سرياني . وقولهم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل بمنزلة عبد الله وتيم الله ونحوهما . وإيل هو البيت المقدس . وقيل بيت الله لأن إيل بالعبرانية الله) .

وقال صاحب شرح القاموس : (إيلياء بالكسر ، يمد ويقصر ، ويشدد فيهما . اسم مدينة القدس) .

وقد نص علماء الحديث على أن هذه الرايات الموعودة ليست رايات العباسيين . قال ابن كثير في النهاية تعليقاً على هذا الحديث : (هذه الرايات ليست هي التي أقبل بها أبو مسلم فاستلب بها دولة بني أمية . بل رايات سود أخرى تأتي صحبة المهدي) . (فيض القدير : 1 / 466 ، ولم أجده في طبعة ابن كثير الفعلية) .

بل وردت عدة أحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله تميز بين رايات العباسيين التي هدفها دمشق ، وبين رايات أصحاب المهدي عليه السلام التي هدفها القدس ، منها ما رواه ابن حماد في مخطوطته ص 84 و 85 وغيرها ، عن محمد بن الحنفية وسعيد بن المسيب قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وآله : تخرج من المشرق رايات سود لبني العباس فتمكث ما شاء الله ، ثم تخرج رايات سود صغار تقاتل رجلا من ولد أبي سفيان وأصحابه ، من قبل المشرق ، يؤدون الطاعة للمهدي) .

وقد حاول بنو العباس استغلال أحاديث الرايات السود في ثورتهم على الأمويين ، وعملوا لإقناع الناس بأن حركتهم ودولتهم ورياتهم مبشر بها من النبي صلى الله عليه وآله وأن المهدي الموعود عليه السلام منهم ، وقد سمى المنصور ولده المهدي ، وأشهد القضاة والرواة على أن أوصاف المهدي الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله تنطبق عليه . . الخ . وللعباسيين قصص في ادعائهم المهدية واتخاذهم الرايات السود والثياب السود ، وهي مشهورة مدونة في كتب التاريخ .

وقد يكون ذلك نفعهم في أول الأمر ، ولكن سرعان ما كشف زيفه الأئمة من أهل البيت عليهم السلام والعلماء

ورواة الحديث ، ثم كشف زيفه الواقع حيث لم يكن أحد منهم بصفات المهدي الموعود عليه السلام ، ولا تحقق على يده ما وعد به النبي صلى الله عليه وآله ، ولا ملأ أحد منهم حتى قصره عدلاً !
بل تذكر الروايات أن الخلفاء العباسيين المتأخرين قد اعترفوا بأن قضية ادعاء آبائهم للمهدية كانت من أصلها مجعولة ومكذوبة .
ويبدو أن ادعاء المهدية كان أشبه بالموجة في أواخر القرن الأول الهجري ، حيث رزح المسلمون تحت وطأة التسلط الأموي ، ولمسوا ظلامة أهل البيت عليهم السلام فانتشر بينهم تداول أحاديث النبي صلى الله عليه وآله عن ظلامة أهل بيته الطاهرين عليهم السلام والبشارة بمهديهم . فكان ذلك أرضية لادعاء المهدية لعديدين من بني هاشم ، وحتى من غيرهم أيضاً مثل موسى بن طلحة بن عبيد الله التيمي .
ويبدو أن عبد الله بن الحسن المثنى كان أبرع من ادعاها لولده محمد ، فقد خطط لذلك منذ طفولة ابنه فسماه محمداً لأن المهدي عليه السلام على اسم النبي صلى الله عليه وآله ، ثم رباه تربية خاصة ، وحجبه عن الناس وأشاع حوله الأساطير وأنه هو المهدي .
قال في مقاتل الطالبيين ص239 : (لم يزل عبد الله بن الحسن منذ كان صبياً يتوارى ويراسل الناس بالدعوة إلى نفسه ويسمى بالمهدي) !!
وقال في ص 244 : (لهجت العوام بمحمد تسميه بالمهدي) !
بل كان العباسيون أيضاً يروجون لهذا الإدعاء قبل أن ينقلبوا على حلفائهم الحسنيين! فقد روى المصدر في ص239 عن عمير بن الفضل الخثعمي قال : (رأيت أبا جعفر المنصور يوماً وقد خرج محمد بن عبد الله بن الحسن من دار ابنه وله فرس واقف على الباب مع عبد له أسود وأبو جعفر ينتظره ، فلما خرج وثب أبو جعفر فأخذ بردائه حتى ركب ثم سوى ثيابه على السرج ومضى محمد ، فقلت وكنت حينئذ أعرفه ولا أعرف محمداً : من هذا الذي أعظمته هذا الإعظام حتى أخذت بركابه وسويت عليه ثيابه؟ قال : أو ما تعرفه؟! قلت : لا . قال : هذا محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ، مهدينا أهل البيت) ! .
وأكثر الظن أن العباسيين تعلموا ادعاء المهدية من هؤلاء الحسنيين حلفائهم وشركائهم في الثورة على الأمويين . وليس هذا موضع التفصيل .
على أي حال ، لا شك عند أهل العلم بالحديث والإطلاع على التاريخ ، في أن الرايات السود الموعودة في هذا الحديث الشريف وغيره هي الرايات الممهدة للمهدي عليه السلام ، وهي غير رايات بني العباس حتى لو فرضنا صحة الروايات التي تخبر برايات بني العباس أيضاً ، لما عرفت من وجود أحاديث تميز بينهما ، ولشهادة الواقع وعدم انطباقها على مهدي العباسيين وغيرهم ، وقد أشرنا من أن هدف رايات العباسيين دمشق ، وهدف رايات أنصار المهدي عليه السلام القدس .
وبالرغم من اختصار هذا الحديث الشريف في الرايات السود ، إلا أن فيه بشارة بوصولها إلى هدفها مهما كانت العقبات التي تعترض طريقها إلى القدس .
أما زمن هذا الحدث فغير مذكور في هذه الرواية ، ولكن تذكر روايات أخرى أن قائد هذه الرايات يكون صالح بن شعيب الموعود ، كما في مخطوطة ابن حماد ص 84 عن محمد بن الحنفية قال : (تخرج رايات سود لبني العباس ، ثم تخرج من خراسان أخرى قلانسهم سود وثيابهم بيض ، على مقدمتهم رجل يقال له صالح من تميم ، يهزمون أصحاب السفياني ، حتى ينزل ببيت المقدس فيوطئ للمهدي سلطانه) .
ويبدو أن المقصود بها في هذه الرواية حملة الإمام المهدي عليه السلام لتحرير فلسطين والقدس ، ويحتمل أن

تكون بدايتها قبل ظهوره عليه السلام 1..

_____

1. عصر الظهور ، للعلامة الشيخ علي الكوراني العاملي حفظه الله.